هكذا كلَّمني الشرقُ

مَوسمُ الشَّهَادة

محمد بنيس

تخطيط : عبد الوهاب البوري

قرآن لمراكش أن تستوطننا
هذا زمن تتواجه فيه
الأزمنة السفلى والعليا يكتب
ما لا يكتب قام الماء وهبّ الحقل
يوسّع خضرته انساق اليوم مع
زلا عرايين تشقّق ما بين الكتفين
فسرّح
عينك
رافقها
مراكش تعلن فرجتها
المسروجة بلا حواز بعض السبية

بِالْبُرْنُوسِ بِحِنَّا الْمُلَايَةِ بِالتَّهْلِيلِ
بِجَمْعِ الحَلْقَةِ بِالمَلْغُونِ بِأَحْجَارِ
الطُّوبِ الأَحْمَرِ بِالأَسْوَارِ بِآيَاتٍ
وَلَّتْ مِنْ تَارِيخِ مَخْبُوءٍ تَحْتَ الشَّقْرَةِ
هُرِّبَ فِي سَقَرٍ رَسْمِيٍّ تَنْحَنِي فِي
الهِجْرَةِ مِنْ وَهْمٍ تَشْتَهِي هِضَابُ
الأَرْضِ صُعُوداً يَعْطِفُنِي بَابٌ
لَا نَوْمَ لَهُ يَتَلَأْلَأُ عِنْدَ المُنْعَطَفِ
الخَلْفِيِّ
هَا هُوَ عُرْسِي يَغْسِلُ نَعْشِي
هَا هُوَ عَرْشِي
هَا هُوَ مِعْرَاجِي يَنْزَاحُ حَتَّى يَلْحَقَ
بِالقَادِمِين
هَا هُوَ سِرُّ الثَّقَلَيْن
هَا
هُـــوَ
هَا
وَتَرَاءَتْ رَاحِلَةٌ تَسْأَلُ ضَوْءاً مِنْ نَخْلَتِهِ
اتَّكَأَتْ أَلْوَانُ الشَّمْسِ عَلَى صَمْتِي

ومشيتُ هُنا وأتسبقُها أفواجٌ
منازلِهم زغردْنَ لها حتّى انكسرتْ
وبكتْ أرَقًا أطرافُ أصابعِهم
تشقتْ بالصّبرِ رطوبةُ هذا القبوِ
فهلْ تعلمُ يا يوسفُ أنّكَ في نفسِ
الأسْرِ تجالسُها وتُغنّي منْ طربٍ
الملحونَ لها تهتزّ سحابةُ ترملُ
زغردْنَ لها

وكانتْ تستضيءُ بنغمٍ
ونخلٌ يخرجُ من فروعِ الماءْ
وكانتْ تستردُّ بلادَ [illegible]
والصحوُ يسكنُ جفنَها [illegible]

وكَانَتْ تُغَنّي
لَعَلّي قُلتُ لهَا مَرّةً
لِهَذِي الرّيَاحِ انْعِقَاضٌ وصَوْتُكِ
سُلَّمُهَا
لَعَلّي قُلتُ لهَا مَرّةً
لِهَذِي الرّيَاحِ مَصَبٌّ وصَوْتُكِ مَنْبَعُهَا

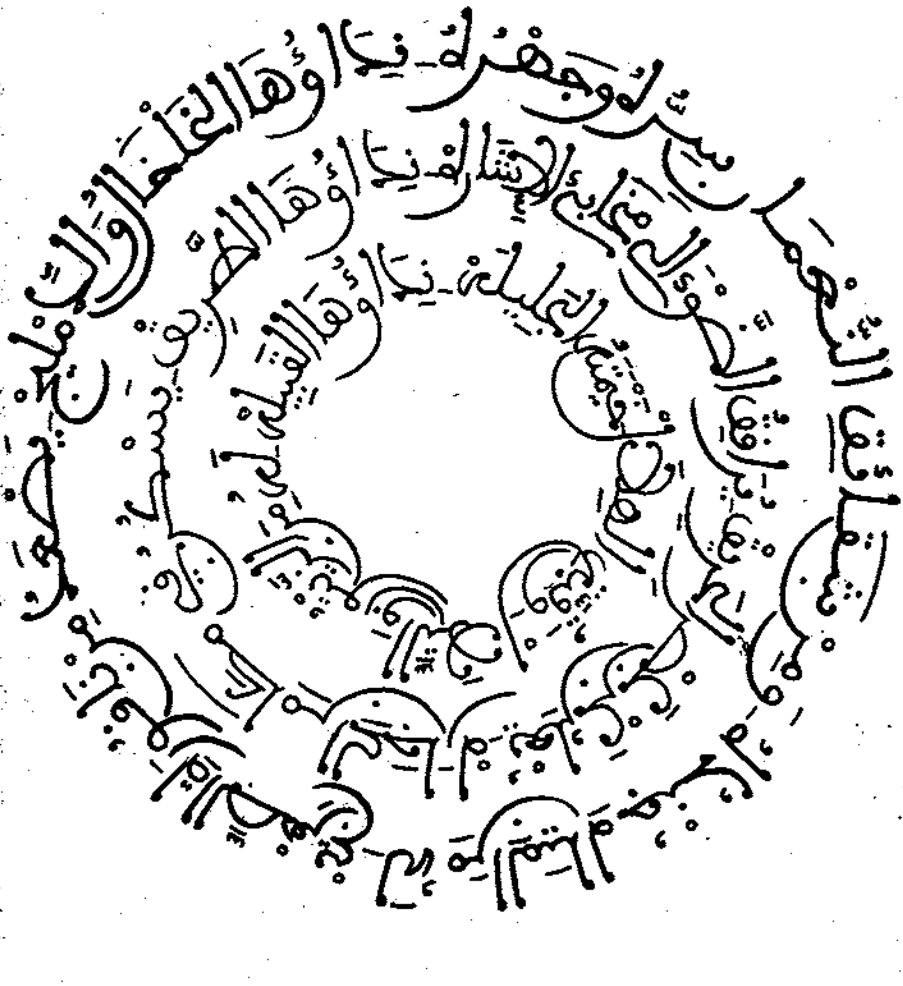

وَاسْتَنْفَرْنَا مَا كَانَ لَنَا مِنْ عِشْقٍ مَرَّ بِنَا فِي
الْحَضْرَةِ نَهْرٌ يَسْبُو فَنَسِيلُ لَنَا أَوُ الْمَطْهَر
قَالَتْ لِي التُّرْبَةُ هَذَا الْمَنْشُورُ الْمَاءُ أَتَانِي
يَوْماً فَانْبَسَطَتْ أَرْضٌ وَانْشَقَّتْ أُخْرَى
جَا فَتَّشَ الضَّوْءَ بَيْنَ الْمَاءِ بِحُرْقَةٍ إِذْ تَاهَتْ
تَاءُ تِيهٍ يَسْتُرُهُ مَوَّالٌ وَاغْتَرَبَتْ مِنِّي
مَأْوَاهَا مَنْ مِنْكُمْ يَجْتَازُ الْآنَ مَعِي
فَصْلَ الْمِحْنَةِ تَلْقَاهُ سَعِيدَاتٌ يَلْقَاهَا
جِهَاتُ الضَّوْءِ
تَعِيهُ
بِهَا
وَالطِّينُ
يُجَالُ
شُهَا
حَتَّى سَوَّاهَا
لَا تَنْتَحِرُوا عُنْفاً يَأْتِيكُمْ
أَنْتُمْ عُنْفِي
سُبْحَانَكَ مَنْ أَهْدَاهَا الْفَرْحَةَ
خَالِطْ فِيهَا الْحَيْرَةَ زَمَنَ

فيها الزُّرقةُ قالَ الهادئونَ - نَعيماً
وَسَلاماً واستنهضَها غَلاَّها
مَطْهَرُكُمْ
هذا
الماءُ البنّيُّ
يَقولُ النّهرُ هُنا لا قَبْوَ ولا
حُفرةَ ماءٍ وعَمَّناهُ الآنَ
بِنا يَعْبُرُ في مَجْراهُ إلى البُعدِ

تقدّمْ أيُّها القلبُ الجميلُ لعلَّ هذي الأرضَ
تفسحُ روضَها واحفرْ ثبوتَ النجمِ أنتَ
الشاهدُ المفتونُ بالوهنِ البهيِّ وبالبريقِ
عندَ بابِ النهرِ في فيضانِهِ
كلٌّ يجيءُ بما يُريدُ لكُمْ مِنَ الآفاقِ
هذا الطائرُ الدعمرُ ولي قلبكَ يحطُّ
على نخيلٍ حالمٍ جمعتْ بلادُ الشمسِ عوسجَها
وحطّتْ عندَ مُرتفعٍ تقاومُ جُندَهمْ
وعتادَهمْ ورأيتُها تقولُ لنا تقدّمْ إنّني
اخترتُ البقاءَ بسفحِ هذا الأطلسِ
اختاروا حنيناً فاجعلا مِنْ صُلبهِ
منتُ شهادةَ قلبي
وقلتُ الكونَ للأحياءْ
ورثتُ شهادةَ قبلي
ولي منها تقاطُعُ مطلعِ الأنواءْ
كيفَ التقينا؟ ليسَ هذا أصلَنا
لماذا نلتقي؟ حُلُمٌ يُغطّينا ويُدفِئُنا
حُلُمٌ
وساعاتٌ مُضيئَهْ

تتسابق الأيام في ركن تمادى بين
الدواخل تحتفر كذلك يا عيني التي
أخضرتني رجلي تطاول نصفها
وتساقطت خطواتها الأخرى
ثم ينداح في الوطن القريب أينهم
يأتون من أمر يتشرع معونا خوفا
ويعلن عن جنازتنا بمرسوم القصاص
وعن أحياء يطوفون الشوارع بالعصي
وبالبنادق لا تقل من أين جئتم يسألون
عن الجسارة وانتهاك الأمر ينتظرون
عينا الذئب فوق السطح يجثم
بعضهم هذا هو المسؤول يرمي
في دهاليز تعاريج الحكاية كهرباء
لهجة استنطاقهم قلاق تصرم
ليلة في السقف عاشرة على حبل من
الخلفاء طاولة وآلات التقاط صورة
رقم مراقبة ملف خائر منع الكلام
استسلموا أمر

تجاسر أيها القلب المعمد بالتراب
وبي رهان
كهرباء كهرباء غيبة جوع
وزنزانة
قالت أنا حكم
تسلم قلبها عصيانه
تلت ضفائرها طيوراً هاجرت
من صمتها
وتعلقت نخلاً

فجاء سبعو وجاءت فارس جاء الشاعر العجم ون
ها هم بين رملة وآية لها يستسلمون

قالت لي فرحتها الحجريّة تغرقني تنسلُّ
إلى أعماقي
حنجرتي
رئتي
قدمي
يشمّني هذا الملكوتُ الطالعُ من
إشراقة حضرتها قامَ عشقي عند التربة
ينهض بي قامٌ يمتدُّ طريقٌ تفرّعَ لدنْ
ترامي صخرتها بين الأحراش تقدَّمْ يا
وجهي هذي الأعشاب تغيّر صورتها
وتقدَّمْ لا تُهمِلْ عينيكَ فتلك مفاتيحها
لن أفتحَ مزلاجَ الملكوتِ
تقدَّمْ ها هي
سطحُ الماءِ فلا يبقى غيرُ الممنوعِ
متاريسُ
حيطانٌ أربعةٌ
قضبانٌ
لونٌ مغموقٌ
بردٌ
وقليلٌ من صوتِ الأحباب

فا
جاءتني ع
ـبُ حنظ[illegible] النّو
ـمْ قالتْ لا تعونُ جاءَ
ـتْ يا نارُ من ابتعا[illegible] بي الرّ
ـسٌ وأفتنُ حروفي منها
اللوزِ الأخضرِ القرنفلِ
الأرضِ العشبِ الأرقِ تشعلُ زرقَ
البرتقالِ الغيمِ العنبرِ الليلِ منها
وعادَ الأقحوانُ الليلُ
ى عتبةِ الوجهِ المرمرِ
ـسَ حصى [illegible] تقدّمَ
خطفتْ أرى وشاحاً
وقوساً فوقه قوساً
كأنّها بين كلِّ قوسٍ
لكنّها مشغفةٌ بباطنه وعينٍ
وسعةُ الشهوةِ والبيدِ
ـها الوقتُ العاديُّ يا
من بعيدِ الطيفِ
ـعنْ هنا قالتْ رد
ـرتْ برجلٍ في بئرٍ قد
ـبَ من أعناقٍ تعينُ كان
ـسَ وصيّتها الأخيرة فاكتبْ عليه

تنمو وتكسّرُ وتلاحقُ مخيفٍ وتصغرُ
حتى سقطَ القمرُ في أعشابِ الغيابة
كلمةً وبحثُهُ لم أستشرْ مثقفاً
ولم أقرأْ كتاباً فراقَ الناسِ
والنباتَ ولم أكنْ صامتاً لكنْ ما
تشابسُ أبنيتُها الأذى عيناكَ منّي فأنا
التّيهِ والرّغبةُ ما غبتُ ولكنّي
هبكَ صوتٌ على نفسي
أخبرتني بسنمٍ من
أبعادِ الـ

لا مَسَّ صَوْتَهُ الرِّيحُ تلاَ مسنيَ الأَخْبارُ
بِغَيْرِهِ وجهَكَ للماءِ الطَّافِحِ
مِنْ أُقْدامِكَ ما بَقِيتْ منْها إلاَّ أُفُقٌ
أنْوارٌ شاهِدَاتٌ

هَنا قبرٌ مغلومٌ في أُنْغاءِ الصَّوتِ
تربَّعَ وشَمَلَ ورَسَا في
عينيكَ عامَ الرَّبيعِ
بِمُرَّاكُشَ حيثُ
النّاسُ شُهُودٌ
بأخْذِهُمْ
ظِلُّ الزَّيتونِ
الشَّعْ
بـ
ي